ألفاظ الحضارة فى الوثائق العربية ذات الطابع الدولى

للدكتور عبد الهادى التازى

البحث الذى قدمه د . عبد الهادى التازى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فى دورته الخامسة والخمسين (27 فبراير 13 مارس 1989)

التاريخ

الدولى لأمة مامن الأمم يعنى الاهتمام بما يربط جهة من الجهات مع غيرها ، من حيث علاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية...

وهكذا فإن التاريخ الدولى هو شىء غير التاريخ المحلى الذى لايعدو الاشتغال بالأحداث والوقائع التى تجرى على الساحة الوطنية المحدودة ..

وإذا كان العتاب قد وجه من قديم لنا — نحن العرب — بسبب إهمالنا لتاريخنا الإقليمى فإن الشعور بالعتاب يزداد حدة عندما يتعلق الأمر بحديثنا عن تاريخ علاقاتنا مع الأمم الأخرى :

وإذا كان الاعتراف بالحق فضيلة كما يقال فإننا فعلا مقصرون فى هذا الباب تقصيراً يبلغ فى بعض الأحيان درجة لانمتلك معها غير الاعتراف بواقع الحال ...

وهكذا فإننا إذ نشيد بدور مؤرخينا القدامى ممن دونوا تاريخنا من أمثال ابن جرير الطبرى (تـ 310 = 923) والبكرى (تـ 487 = 1094) ومن أمثال ابن الأثير (تـ 630—1233) وابن واصل (تـ (697=1297) وما لنا لا نقول أمثال

(*) ألقى فى الجلسة الحادية عشرة يوم الأربعاء ٣٠ من رجب سنة ١٤٠٩هـ الموافق ٦من مارس (آذار) سنة ١٩٨٩ م .

ابن خلدون (80=1332) والقلقشندى 821=1418 والمقريزى 844=1441 وغيرهم كثير وكثير فى المشرق والمغرب ..

لكنى إذ أشيد فيه بذكر هؤلاء أجرؤ على القول بأنهم يتحملون نصيباً من التبعة فى عدم إعطائهم للوثيقة العربية ذات الطابع الدولى ما تستحقه من عناية وما تتطلبه من تتبع وملاحقة !

وينبغى لكى نتصور — باختصار — ما أقصد إليه آن أذكر أن ابن خلدون مثلا وهو رجل دولة عايش كثيراً من أحداث عمره على الصعيد الدولى ...

هذا المؤرخ العظيم لم يهتم بإعطائنا صورة لما كانت عليه العلاقات بتفصيل بين المغرب مثلا والممالك الأوربية ... هناك وثائق دبلوماسية حررت على مقربة منه ولكنها لم تجد لها صدى فى كتابه ولولا احتفاظ أرشيفات فرنسا أو إيطاليا بها لذهبت أخبارها أدراج الرياح ..؟

وسأضرب مثلا أكثر دلالة على عدم اكتراثنا بهذه الحقول من ثقافتنا الوطنية وحياتنا السياسية ، أضرب المثل أيضاً بالقلقشندى الذى لانجد فى كتابه صبح الأعشى على حجمه وضخامته لا نجد إلا صورة مكاتبة واحدة ترجع إلى عصر السلاطين المماليك : وهى الرسالة الموجهة من دوج البندقية ميخائيل إلى السلطان فرج بن برقوق فى 16 صفر 814=10 يونيه 1411 وعلى ذكر العلاقة مع البندقية أذكر أن أصول اتفاقية 12 رجب 818=17 سبتمبر 1415 مع البندقية تختفى من الأرشيف المصرى ..! إذا ما استثنينا الإشارة العابرة لها والمختصرة جدا عند المقريزى فى (السلوك) وعند ابن حجر فى (أنباءات الغمر) (1) فى الوقت الذى نجد الترجمة الكاملة للإتفاقية فى أرشيف البندقية ، أكثر من هذا نجد لوحة رائعة لسفارة البندقية التى وردت على سلطان مصر شيخ بن عبد الله المحمودى وهى من الرسوم التى يمكن لكل واحد أن يقف عليها فى الرواق الكبير بمتحف (اللوفر) لوحة بريشة بيللنى (Bellini) .....

وفيما يتعلق بالمغرب كذلك نجد أنه فى الوقت الذى لا يوجد فيه بالأرشيف المغربى أثر لنصوص الاتفاقية التى عقدتها المملكة المغربية مع البندقية بتاريخ 19 رمضان 913= 11 يناير 1508 نجد أن أرشيف الدولة فى

---

(1) د. رؤوف عباس : مصر وعالم البحر المتوسط — دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع — القاهرة 1986

فينيسيا يحتفظ بالنصوص الكاملة للاتفاقية المغربية البندقية مع ترجمتها وكأنها حررت بالأمس ..

وهكذا يتأكد أن بعض كتب التراث مما ذكرته آنفاً ونوهت به ما يزال « مناجم » فى حاجة كبرى إلى اكتشافها وتقصى ما ورد بين ثناياها بالرغم من شحته وقلته ! !

ومن حسن الحظ أن بعض زملائنا وأساتذتنا أخذوا يشعرون بفداحة الفراغ الذى تشكوه المكتبة العربية فيما يتصل بهذا الموضوع فأخذوا يحاولون رأب الصدع ، وقرأنا لهم فى مختلف البلاد العربية عدداً من المقالات ، وربما ظهر عدد من المؤلفات(1) التى تتحدث عن هذه السفارة أو هذه الوثيقة وربما ظهرت ترجمات لعدد من الكتب التى أسهم بها أصحابها من جنسيات أخرى فى موضوع العلاقات الدولية(2) .. وقد أخذنا نقرأ — وهذه ظاهرة محمودة عن بعض الأطاريح التى تعالج بعض جوانب هذه المواضيع ...

وإننا إذ نكبر كل الجهود التى تبذل من أجل كتابة تاريخ علاقاتنا الدولية بما كان يصحبها من ظهور أسماء لبعض الشخصيات وظهور أعلام جغرافية كذلك .. وبما كان يقترن بها — أحياناً — من مناظرات ومحاورات حول شتى الموضوعات ... وبما كان يظهر على إثرها من كتابات وإفادات ... إذ نكبر كل ذلك ما نزال نعتبر أن جل أمهات التراث السياسى العربى والإسلامى وخاصة منه ما يتصل بجانب التاريخ الدبلوماسى ما تزال « مناجم » — كما قلنا — فى حاجة إلى الكشف والاستكشاف ... وما تزال فى حاجة إلى حفريات متوالية ووئيدة ليس فقط فى خزائننا ومستودعاتنا بالبلاد العربية ولكن — وهذا مهم — فى الخزائن والمستودعات التى تحتضنها الأرشيفات فى الديار الغربية ...

لقد أتيحت الفرصة لى — وأنا أحضر كتابى « التاريخ الدبلوماسى للمغرب » أن أتردد على أرشيفات الدولة فى معظم البلاد الأروبية مثلا ... هناك فى بيزة وفى جنوة ، وفينيزيا ونابولى . وفى ليشبونة وفى سيمانكاس ... وباريز ولندن إلخ ... يجد المرء نفسه أمام متاحف عربية بكل ما تؤديه كلمة « المتحف » من معنى ... ليس فى باب التراث كمخطوط ولكن فيما يتصل بعلاقات البلاد الغربية ، والإسلامية بالعالم الغربى .

---

(1) د. صلاح الدين المنجد : للنظم الدبلوماسية فى الإسلام ، دار الكتاب الجديد ، بيروت لبنان 1983=1403

(2) ورى ميخايلوفتش كوبيشا نوف : الشمال الأفريقى الشرقى فى العصور الوسطى المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية . نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم — عمان 1988 .

وقد كان مما يثير الانتباه فى أمر هـذه الوثائق موضوع الهدايا المتبادلة بين ملوك ورؤساء الدول ، كانت هذه الهدايا تكون وحدها عنصراً على حدة يعبر عما وصل إليه الفكر الحضارى العربى بين الأمم من تذوق لنوع ما يهدى وشكل مايقدم للامم الأخرى ، حيث تتبارى المكايسات والمجاملات فى انتقاء ما يجلب تقدير الآخرين ويترجم لهم عن مركز وقيمة ومكانة هؤلاء الذين تقدموا بهذه الهدايا والعطايا ... وما تزال أمامنا الحكمة المروية عن النملة : « إن الهدايا على مقدار مهديها » .

فهنا نرى أن الذى يقدم الهدايا يحرص على أن يظهر أتم ظهور ... وهكذا فإن الهـدايا فى الواقع بمثابة بطاقة تعريف تحمل معهـا الحيثيات والإمكانيات والقدرات ...

وقد رأيت أن أقدم بهذه المناسبة بعض اللقطات التاريخية التى تعبر عن بعض الجوانب المغربية الحضارية التى اتسمت بها العلاقات المصرية فى العصر الوسيط ويتعلق الأمر بحدث جميل شاهدته سنة 733=1338 ، ويتمثل فى إهداء العاهل المغربى السلطان أبى الحسن المرينى المصحف الكريم الذى خطه جميعه بذات يده إلى المسجد النبوى بالمدينة المنورة شكراً لله على توحيد المغربين الأقصى ، والأوسط ... وتعبيراً عن الحمد لله على أن مهد الطريق لحج بيت الله ... لقد عهد العاهل المغربى السلطان أبو الحسن للاميرة المغربية مريم محل والدته بتبليغ المصحف إلى مكانه المخصص له ... وكان السلطان الناصر محمـد ابن قلاوون هو المخاطب الأساسى لإنجاح هذه المهمة وتحقيق هذه الرغبة ...

ومن حسن الحظ هذه المرّة أن نجد الوثائق بين أيدينا ونجد المؤلفات كذلك فى مساعدتنا سواء فيها المؤلفات التى حررت بالديار المغربية أو الأندلسية أو التى ألفت كذلك بالديار المصرية .

وهكذا نمتلك حول هذا الموضوع مادة جيـدة تتمثل فى المراسـلات الدبلوماسية ، والحوليات التى حررت من طرف شـاهدى عيان والتى ترجم بعضها إلى الفرنسية والإسبانية والإنجليزية كذلك .

ويحتوى مجموع تلك المستندات على ثروة من ألفاظ الحضارة وأفعال الحضارة ، كذلك كانت تقتضى منا أن نلتفت إليها تحقيقاً وتعليقاً سيما وقد تعرض بعضها للتحريف عند النسخ أو عند الطبع أو عند الترجمة كذلك .

كان فى مقدمة المصادر التى تنـاولت الموضوع من الجانب المغربى :

أولا : الرسائل الدبلوماسية التى رفعت من العاهل المغربى إلى العاهل المصرى والأولى منها تضيف إلى مهمة الوفادة معلومات عن الحالة السياسية فى المغرب وعن ظروف

النية كانت مصروفة لإرسال والدة السلطان حسبما أخبر به سلطان مصر السفير ابن الجراح لكن بما أن الوالدة هارت إلى عفو الله فإن سلطان المغرب يبعث بزوجة والده محل والدته ::. واستجابة لطلب ملوك مصر إخباره بمتزيدات المغرب وجدنا السلطان أبا الحسن يقدم المعلومات المطلوبة . أما الرسالة الثانية فقد تخصصت لمهمة الوفادة : حمل المصحف.. وحج الأميرة ... وذكرت من أعضاء الوفد المغربى أبا إسحاق بن يحيى السويدى وأمير الركب الحسن بن عمران ... وهذا الخطاب « كتب فى يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة (21 أكتوبر سنة 1337) » .

وقد وردت نصوص هاته الرسائل فى صبح الأعشى للقلقشندى فى المجلد الثامن منه.

ثانياً : كتاب الإحاطة فى أخبار غرناطة تأليف لسان الدين بن الخطيب سنة (1375=776) فى مجلده الرابع[1] .

ثالثاً : كتاب المسند الصحيح الحسن فى مأثر ومحاسن مولانا أبى الحسن (1349=781). تأليف محمد بن مرزوق التلمسانى[2] .

رابعاً : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر تأليف ابن خلدون فى مجلده السابع والأخير وفى كتاب (التعريف) الذى ألحقه الناشر بكتاب العبر .

وقد كان كذلك فى صدر من اهتم بهذا الحدث من الجانب المصرى .

أولا : الخطاب الديلوماسى الذى راح من السلطان الناصر محمد بن قلاوون جواباً على رسالة العاهل المغربى السلطان أبى الحسن ويلاحظ أن الناصر يجعل الرسول هو أبا إسحاق إبراهيم بن أبى يحيى (التازى) ويصف السويدى بالحاجب الكبير ويكتفى بذكر الكاتب أبى الفضل بن أبى عبد الله بن أبى مدين . .

ثانياً : صبح الأعشى للقلقشندى. .

---

(1) صدر بتحقيق محمد عبد الله عنان ج / 4 ص 322—325

() صدر هذا الكتاب عن المكتبة الوطنية بالجزائر، بدراسة وتحقيق د. ماريا خيسوس بيغيرا، تقدم محمود بوعياد— الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1401=1981 وقد كانت المحققة ترجمته إلى الأسبانية عام 1977 ، وصدر عن المعهد الأسبانى العربى للثقافة بمدريد وظهرت قبل هذا عام 1925 دراسة وترجمة بالفرنسية لنخب من الكتاب الأستاذ ليفى بروفنمال .

esperis 1925 T.V. 1 Trimestre

ثالثاً : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقى الدين المقريزى . . .

(ت 845=1441)

رابعاً: ابن إياس الحنفى (ت 930=1524) فى كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور ..

وهكذا فنحن أمام إفادات تتضافر جميعها على تسجيل مقدم الأميرة المغربية فى اليوم الثانى والعشرين من رمضان سنة 738=13 أبريل 1338 .

وإذا ما رجعنا إلى رواية ابن الخطيب (ت 776=1375) وهو أقرب تاريخ للزيارة فإننا سنجده فى معرض إشادته بالسلطان أبى الحسن المرينى يأتى بنسخة العقد الذى تضمن هديته إلى صاحب الديار المصرية صحبة الربعة الكريمة بخطه . . . وفى ذلك يقول ابن الخطيب:

1 — قبة كبيرة من ماثة (بنيقة[1]) وفيها أربعة أبواب .

2 — قبة أخرى من ستة وثلاثين (بنيقة) داخلها حلة محلقة ووجهها حرير أبيض ، وركيزها أبنوس وعاج مرصع والأكبار[2] فضة مذهبة والشرائط حرير ...

وقد ضربت القبتان بالصفيصف[3] ، وحل فيها جميع الهدية وصففت جميع الدواب بجهازاتها أمام القبة .

3 — ثلاثمائة من الخيل .

4 — خمسة وثلاثون من البغال بين ذكور وإناث[4] .

---

(1) بنيقة : كلمة عربية عرفت تطورات عديدة فى دلالاتها ، ومن جملة ما تعنى الحجرة يتخذها الوزير ، مثلا ، مكتباً له ، وربما منها. بتحريف. أتت كلمة (Cabinet (Ministériels ولأجل تصور وجود بنائق داخل القبة ينبغى أن نعرف معنى كلمة(أفراق) المحرفة عن (فرق) وهى تعنى مجموعة مضارب صغيرة يستقر فيها أعضاء الحكومة أثناء السفر وقد فهم كانار CANARD خطأ أن القصد بالبنيقة هنا قطعة الثوب G.S. Colin, Encyc. ISLAM 1954

(2) جمع كبر القصد إلى أعالى القبة أى ذروتها وتفانيحها .

(3) محلة بتلمسان حيث كان العاهل المغربى يقيم آنذاك .

(4) كان جميعا بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة . . . وبعضها سروجها وركبها من الذهب .

(5) سبعمائة من الجمال إلا أنها لم تصفف بل أعدت لحمل الهدية .

(6) أربعة وثلاثون من البزاة الأحرار .

(7) مائتان وخمسة وعشرون من أحجار الياقوت (1) .

(8) مائة وثمانية وعشرون من قضب الزمرد(2) .

(9) ثلاثة آلاف وأربعة وستون من حبوب الجوهر الفاخر أكثره .

(10) ثمانية وعشرون من أحجار الزبرجد.

(11) عشرة من المهندات بحلية الذهب .

(12) عشرة أزواج مهاميز من الذهب .

(13) عشرة أزواج الأركب ، واحد كله ذهب وثلاثة كلها فضة وستة من خبحبة مذهبة على الحديد (3).

(14) مضمتان من ذهب .

(15) شاشية مذهبة .

(16) ثلاث عشرة حلة (مذهبة) .

(17) عشر كلل .

(18) مخاد مائتان بعضها نزف (4) ذهب وبعضها حلل .

(19) عشرون أنساقاً ذهب (5) .

(20) ستة وأربعون من القدود(6) .

(21) فرش جلد(7) .

(22) عشر علامات مغششة(8) .

(23) عشر وقايات مذهبة .

(24) ثلاثون من وجوه اللحف حرير وذهب(9) .

(25) مائتان من المحررات الملونة الرفيعة المختمة .

---

(1) ينعت ابن مرزوق الياقوت بأنه فاخر عظم القدر والمقدار ، النفح . 400,4

(2) قضب ج قضيب ، تنظم فيه قطع الزمرد DOZY

(3) نقل ابن الخطيب هنا أكثر وضوحاً ودقة .

(4) (النزق) آلة النساج من تسمية الشيء باسم آلته .

(5) رسم عند آخرين انزاق جمع نزق 1941—1939 A. I. E. O.

(6) يسميها ابن مرزوق أيضاً (الخلادى) جمع خلدى . جلد الغنم كانوا يتخذون منه لباساً . . .

(7) M. Canard : Relations . . AIE.O 2932– 41

(8) يضع دوزى علامة استفهام على هذا اللفظ فاعلها مغششة أى مغشاة

(9) يعدها ابن مرزوق عشرين

(26) حيطيان أحدهما حلة والآخر نزق (1)

(27) ثلاثة وعشرون شقة من الرصان(2)

(28) إثنان من حنابل الحلة .

(29) عشرة براقع للخيل ، منها ثمانية من الحلة .

(40) ثلاثون من أسلة(3) الخيل .

(31) ثلاثة طنافس من الحرير.

(32) حنبلان اثنان من الحرير .

(33) عشرة حنابل من الحرير و الصوف .

(34) مائة وسبعة من الحنابل الونشريشية والزمورية .

(35) أربعة آلاف من الجلد الشركى ... والإغماتى .

(36) مائتان من درق اللمط المثمنة(4) .

(37) أربعة وعشرون من الأكسية المحررة .

(38) ثمانية من البرانس المحررة .

(39) عشرون من الأحارم ما بين محررة وصوف .

(40) خمسون من أزواج المحفف(5) .

(41) عشر لزمات من الفضة(6) .

(42) ست عشرة شقة من الملف (7) .

وأما أزودة الحجاج ، يتابع ابن الخطيب لائحة نسخة العقد التى وقف عليها :

أعطى للحرة المكرمة (8) أخته أعزها الله ثلاثة آلاف دينار من الذهب ومائتى كسوة برسم العرب .

---

(1) تعبير ابن مرزوق : نسق

(2) لعل أصل الكلمة من اد يطالية RASO

(3) جمع سليل ، تعنى التجفاف ، يتقى به كالدرع للفرس والإنسان

(4) يضيف ابن مرزوق فيها إثنتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة Voir M. Canard — A.I.E.O.

(5) فى ابن مرزوق المشغف ، أى الشغاف

(6) اللزمة هى الشكيمة

(7) جوخ يستورد من (أمالفى) الإيطالية ، ويعرف بملف للطليان

(8) يلاحظ أن الرسالة الرسمية التى بعثها السلطان أبو الحسن تنعت الحجة فى الرسالة الأولى : من يمت بحرمة المحرم إلينا ويلزم بحق التربية علينا من يقوم عندنا مقامها « وفى الرسالة الثانية : » وهى محل والدتها المكرمة المبرورة . . . »وفى ابن مرزوق يسميها بمريم ويظهر أن الرسالتين السلطانيتين تعمدتا هذا التكتم فتلك للعادة المتبعة . . .

* أعطى لمن سافر معها ستمائة وسبعين دينارا(1) .

* أعطى لأبى إسحاق بن أبى يحيى ثلاثمائة دينار من الذهب وكسوة رفيعة .

* أعطى لعريفه يحيى السويدى ألف دينار من الذهب .

* أعطى للوصفان والخدم العدد الكثير من الذهب .

* أعطى لرسوم التحبيس على قراء الربعة الكريمة ستة عشر ألفاً وخمسمائة دينار(2) وعلى غيرهم من علماء المالكية .

* * *

ويأتى بعد لسان ابن الخطيب ابن مرزوق الذى يذكر هو الآخر أنه يعتمد فى لائحته على ما ضبط من نقل المتولى لذلك ، ومن خلال المقارنات والمفارقات بين إفادة ابن الخطيب وابن مرزوق يظهر أن الاختلاف بينهما لا يكاد يذكر على ما وقفنا عليه فى التعاليق المقتضية السابقة .

وإذا ما رجعنا أخيراً لابن خلدون فسنجده فى صفحتين متتابعتين من كتابه يردد عبارة : أن الناس تحدثوا فى البلاد دهراً كاملا عن يوم مقدم الأميرة المغربية ، ويقول : إنه وقف على برنامج الهدية بخط أبى الفضل ابن أنى مدين لكنه ، أى ابن خلدون ونسيه !! وأن بعض قهارمة الدار ذكر له كذا وكذا مما كان يقارب الجرد الذى قدمناه نقلا عن ابن الخطيب .

* * *

ونرى فى البداية أن نقف قليلا أمام الربعة الكريمة ، أى الصندوق المعد للمصحف الشريف ، الذى نسخه للعاهل المغربى ، على ما أسلفنا ، بخط يده وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبه وتنميقه ، واستدعى القراء لضبطه وتهذيبه حتى اكتمل شأنه — كما يقول ابن مرزوق وابن خلدون معاً — : لقد كان العاهل حبس هذا المصحف ابتداء على شالة (مقبرة بنى مرين المطلة على وادى بو رقراق بالرباط) .. لكنه — وقد عزم على أن يبعث أم ولد أبيه بعد وفاة والدته — قرر أن يبعث بالمصحف إلى المدينة المنورة ، وهنا وضع له وعاء مؤلف من خشب الأبنوس والعاج والصندل الفائق الصنعة ، وغشى بصفائح الذهب ونظم بالجواهر والياقوت ، وقد اتخذت له أصونة الجلد المحكمة الصناعة

---

(1) ينبغى أن نشير هنا إلى أن العدد العديد من السيدات اللاتى رافقن الأميرة كن من زوجات وكريمات الوزراء والكبراء والقضاة على ما سنذكره .

(2) يتساءل هنا عن عدم ذكر ابن مرزوق للكاتب أبى الفضل بن أبى مدين الذى ورد ذكره فى خطاب السلطان الناصر للسلطان أبى الحسن . . .

المرقوم أديمها بخيوط الذهب ، ومن فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان قبل أن يأخذ الركب طريقه من حاضرة تلمسان(1) فى النصف الثانى من شهر جمادى الثانية على ما نقدر استئناساً برحلة مماثلة تمت فى ظروف مشابهة سنة 1143=1731 (2) .

وحتى يحصل الغرض الذى قصده العاهل من تحبيس المصحف أخرج من خزائنه أموالا عيناً لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفاً على القراء فيها ... وهو النص الذى يوضحه ما جاء فى اللائحة التى أسلفنا الحديث عنها(3) .

فماذا عن جواب مصر على هذه الوفادة التى تحدث الناس عنها دهراً على ما أسلفنا ؟ هنا سنرجع للمعلومات القيمة التى أوردها المقريزى فى كتابه « السلوك » وهو المصدر الوحيد — على ما أعلم — الذى حدد يوم 22 رمضان سنة 738=13 أبريل 1338 (4) موعداً لوصول الأميرة التى يدعتها ببنت السلطان .. التى قدمت ومعها هدية جليلة للغاية ، نزل لحملها من الاصطبل السلطانى ثلاثون قطاراً من بغال النقل سوى الجمال ،

---

(1) حضر ابن مرزوق هذه الأيام بتلمسان مع العاهل المغربى الذى أضفى عليه من عنايته ، ويفيدهنا ابن مرزوق أن المصحف كان ما يزال بالمغرب ليلة عيد المولدالنبوى738، وقد أنشدت فيه عدد من القصائد الشعرية علق بحفظ ابن مرزوق هذان البيتان :

يـــا مصحفاً مـا رأى الراؤون فى زمن شبهاً له مصحفاً مـــن نسخ سلطان
فضيلـــة مثلها فى الدهر مـــا عرفت من عهـــد عثمان إلا لابن عثمان

ويفيد ابن مرزوق هنا أنه شاهد المصحف بالحرم النبوى ، هذا وقد تقفيت أثر هذا المصحف فى المدينة فلم أقف له على أثر ، فى حين وقفت فيه على المصحف الذى حبس على بيت المقدس . .

التازى : أوقاف المغاربة فى القدس ، مطبعة فضالة (المحمدية)سنة 1981 ص 21—22 .

(2) القصد إلى الرحلة التى قامت بها الأميرة خناثة زوجة السلطان مولاى إسماعيل وأم السلطان مولاى عبد الله ، التى حجت صحبة حفيدها الأمير سيدى محمد بن عبد الله الذى أصبح ملكاً للمغرب : محمد الثالث لقد كان على الركب الأميرى أن يقضى سبعين يوماً فى الطريق بين مدينة فاس التى ودعها يوم حادى عشر جمادى الثانية من سنة1143=22—12—1730 وبين أول نقطة فى ولاية طرابلس د . التازى : أمير مغربى فى طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقى (مطبعة فضالة 1976) .

(3) ينبغى أن نذكر هنا أن بعض المؤرخين يرون أن تقديم السلطات أبى الحسن مثل هذه الهدايا الفخمة لسلاطين مصر مقترنة بالمتزيدات عن امتداد سلطانه إلى حدودهم لم يقع موقع رضى من أولئك الحكام الذين نفسوا عليه ذلك الأمر الذى يفسر إيواءهم لابن تافرا جين ألد خصوم السلطان أبى الحسن .

(4) يذكر ابن إياس خطأ أن الحرة حضرت مصر عام 736=1336 على ما أسلفنا — بدائع الزهور تحقيق محمد مصطفى ، الجزء الأول — القسم الأول ص472.الهيئة المصرية للعامة للكتاب القاهرة 1402=1982

وكان قد خرج المهمندار إلى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح[1] ... وهم جمع كبير جداً . يقول المقريزى : وكان يوم طوع الهدية من الأيام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفذت كلها ، سوى الجوهر واللؤلؤ ، فإنه اختص به ، فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار .

ثم نقلت الحرة إلى الميدان[2] بمن معها ، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم ، فكان مرتبهم فى كل يوم عدة ثلاثين رأساً من الغنم ونصف أردب[3] أرزاً وقنطار حب الرمان[4] ، وربع قنطار سكراً ، وثمان فانوسان شمع [5] وتوابل الطعام ، وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم ، وكانت أجرة حمل أثقال ركبها قد بلغت ستين ألف درهم ... ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة : فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين على قدر طبقاتهم حتى على الرجال الذين قادوا الخيول ، وحمل إلى الحرة من الكسوة ما يجل قدره ، وقيل لها : أن تملى ما تحتاج إليه (فقالت) : « لا يعوزها شىء ، وإنما تريد شكر عناية السلطان بإكرامها وإكرام من معها حيث كانوا » .

---

(1) سمى هذا المسجد بالفتح لأن منه كان انهزام الروم إلى قصر الشمع حين قدم الزبير بن العوام والمقداد ابن الأسود فيمن سواهما مدداً لعمرو بن العاص ، وكان الفتح ، وإن تحت حائطه الشرقى قبر عامر الذى كان أول من دفن بالقرافة ، ومحراب مسجد الفتح منحرف عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب انحرافاً كثيراً على نحو محراب جامع القرويين بفاس المغرب ... المقريزى : الخطط ، طبعة بيروت ، 3 ص447—450 د . التازى جامع القرويين ج 3 ص 656 طبعة بيروت 1922

(2) أى ميدان يقصد ؟ فالميادين كثيرة على ذلك العهد فى القاهرة ميدان القلعة وميدان القصر ، وميدان الملك العزيز إلخ انظر الخطط 3 ، ص 19—76 وانظر كذلك كتاب نظم دولة سلاطين المماليك للدكتور عبد المنعم ماجد ص 137 .

(3) الأردب مكيال ضخم فى مصر يساوى 24 صاعاً ج أرادب .

(4) يمكن أن نلاحظ أن الرمان كان من الفواكة المدخرة لأن موسمة عادة هو الخريف ، ومعلوم أن الوفادة المغربية وصلت فى إبريل ربيع 1338 .

(5) الفانوسيات ج فانوسية وهى على ما عند دوزى (Dozy) كمية معينة من شمع القوانيس والظاهر أن تلك الكمية كانت قدر ما يكفى للفانوس الواحد ، والفانوس لفظ يونانى معرب .

فتقدم السلطان إلى النشو(1) وإلى الأمير أحمد أقبغا(2) بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوءية، وهيأ كل ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلوى والسكر والدقيق والبشماط(3) وطلبا الجمالة لحمل جهازها وأزودتها ، وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة(4) ، وأمره أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل ما تأمره به ، وكتب لأميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة » .

وهكذا لقاهم سلطان مصر فى طريقهم أنواع البر والتكرمة حتى قضوا فرضهم ، ووضعوا المصحف الكريم بحيث أمرهم

صاحبهم ، وجواباً على الهدايا المغربية وجدنا ملك مصر يسنى الهدية للسلطان أبى الحسن فيقدم له علاوة على ثياب الإسكندرية البديعة النسج المرموقة بالذهب ، علاوة على ذلك أنواعاً من الفساطيط المصرية الغريبة الهيكل والصنعة بالمغرب على ما يذكره ابن خلدون فى كتابه (التعريف(5)) .

وقد وقفنا فى هذا المصدر على تفصيلات أدق عن الفساطيط المصرية المهداة : إنها خيمتان شاميتان كانتا مثار إعجاب كبير من سلطان المغرب ، ويتعلق الأمر بخيمة عظيمة على تصميم قصر فخم تشتمل على بيوت للمراقد وأواوين للجلوس وأماكن للطبخ ،

---

(1) هذا لقب كان يعرف به المشرف على الكتابة الخاصة بالملك مصر ، ماكان يسمى «ناظر الخاص» ويتعلق الأمر بشرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله الذى تردد ذكره كثيراً عند المقريزى فى السلوك، كما ورد ذكره أيضاً فى الخطط (ج 3 ص80) فى معرض حديثه عن المطبخ . قال : أمر القاضى شرف الدين المطبخ السلطانى فى سنة 739 فوجد عدة الدجاج الذى يذبح كل يوم للبساط سبعمائة طائر .

وقد قتل عام740 عتاباً له من الملك الناصر ، وقال فى النجوم الزاهرة ج 9 ص132 : وجدت له صناديق كثيرة فيها قماش اسكندرى مما عمل برسم الحرة جهة ملك المغرب قد اختلسه .

(2) يفترض الأستاذ كانار أنه ربما كان هو علاء الدين اقبغا صهر السلطان الناصر .Marins Canard. Les relations entre les Merinides et les Mamlouks. A.I.E.O. T.V 1939—41 P.62

(3) قطع من الحلوى الناشفة المجمرة تصبر على مدى الشهور ، والكلمة من أصل رومى ورد ذكرها علاوة على المقريزى فى الوثائق التركية بعد هذا التاريخ .

(4) متولى الجيزة يعتبر من ألصق الشخصيات بالسلطان الذى له بالجيزة عدة أملاك على ما يؤخذ من الخطط للمقريزى .

(5) ابن خلدون : التعريف ج 7 ص، 1668 طبعة بيروت — د . التازى التاريخ الدبلوماسى للمغرب ج 7 ص216 رقم الإيداع القانونى 1986/25 مطابع فضالة 1988=1408 .

وأبراج للإشراف على الطرقات وردهات عديدة فيها واحدة لجلوس السلطان للعرض ، وفيها تمثال مسجد بمحرابه وعمده ومئذنته ، وحوائط الخيمة كلها من خرق الكتان الموصولة بحيك الخياطة ، مفصلة على الأشكال التى يريدها المستعملون لها ... أما الخيمة الشامية الثانية فهى على شكل مستدير عالية السمك ، مخروطة الرأس ، رحبة الفناء ، وهى تظل أزيد من خمسمائة فارس . هذا إلى قطعة من الكسوة الانيقة للكعبة على ما جاء فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى الذى حج فى نفس العام(1) .

وإذا كانت هذه الوثائق بما تضمه من رسائل وأجوبة ... وما تشمل عليه من نقول وفصول تعبر فى حد ذاتها عن مظاهر حضارية أصيلة ، فاننا مع ذلك سنركز على بعض الألفاظ التى استرعت انتباهنا مما كان لها وزن فى استعمالات العالم المتمدن ... وسنكتفى بعرض بعضها معلقين بما نراه ضرورياً ، لاستجلاء أمرها كما أننا سندرج فيها بعض الألفاظ الدخيلة (فارسية أو يونانية(2)) التى أصبحت — بحكم ممارسة العرب لها — داخلة فى المعجم العربى .

(1) فيما يتصل بالربعة :

ومعلوم أن الربعة كما أسلفنا هو الوعاء أو الظرف الذى يحفظ المصحف ، وهذه الربعة وحدها تشتمل على عدد من الألفاظ والاصطلاحات التى تدون عادة فى بابه أ المفردات الحضارية .

وينبغى أن نثير الانتباه أولا إلى مادة الكاغد الذى كتب عليه المصحف المهدى ... الكاغد كان وما يزال عنصراً أساسياً يعبر عن رقى الأمم ... وفى هذا الصدد أذكر أن حاضرة فاس وحدها كانت فى هذا العهد تتوفر على أربعمائة معمل للكاغد ...

وهنا أيضاً سنذكر بمهنة الوراق الذى يقوم بتذهيب الصفحات وتنميقها . . كما نذكر بالمواد التى صنع بها الصندوق : من أبنوس وعاج وصندل ، علاوة على سبائك الذهب وقطع اللؤمؤ والياقوت التى رصعت بها الربعة .. يضاف إلى كل هذا أغلفة الجلد التى كانت تحاط أيضاً بقطع من الحرير والديباج والقماش الرفيع ...

وكل هذا يقدم لنا طائفة من الألفاظ ذات الدلالات الحضارية الرائعة .

---

(1) م . المنونى ، ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ، منشورات كلية الآداب الرباط 1979=1399

(2) M. Canard: Les Relations entre les Mernides et les Mamlouks. A.I.E.O. T.V. Années 1939-41 p. 41—81

(2) فيما يتصل بالأحجار الكريمة التى اهديت لبلاط مصر والتى كانت تذكرنى فى كتاب (الذخائر والتحف) للقاضى ابن الزبَيرْ، نجد أرفع أنواع الجواهر واللآلى والزبارج واالزمرد واليواقيت بألوانهاالأخضر (Jade) ، والأحمر (Ruty) ، والأزرق (Saphir) ، والأصفر (Topaze) .

(3) فيما يتصل بالثياب المهداة : سنقف على نماذج تعبر — بما تضمه من أسماء وأشكال عما وصلت إليه الصناعة فى ذلك العصر ، كما تعبر عما كان يروج من ملابس على عهد بنى مرين مما أثبت بعضه المستشرق الهولاندى رينهارت دوزى فى كتابه (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب)[1] :

وبالرغم من ثراء هذه العطايا وثقلها فإننا نلاحظ أن رسالة السلطان أبى الحسن تعتذر عن التقصير بوجوده آنذاك بعيداً عن فاس التى كانت تحتضن على هذا العهد ثلاثة آلاف معمل لصناعة الحرير .

ونذكر من هذه الحريم أو الإحرام الذى يجمع على الأحارم ، نوعاً من أغطية الرأس التى تجعل فوق العمامة على نحو الطيلسان عند المشارقة .

كما كان من أنواء الألبسة المهداة البرنس الذى قد يسميه المغاربة (السلهام) بالسين والهاء وليس بالزاى والحاء كما يذكره خطأ الذى ترجموا دوزى ، والسلهام أو البرنس يكاد يكون من خصوصيات المغرب ولذلك انقرأ عن أبى الحسن اليوسى قولته التى تعطى شبه هوية للمغاربة يتميزون بها : لبس البرنس وأكل الكسكس وحلق الرؤوس .

ونجد كذلك الحياصة، وتجمع على حوائص التى تعنى نوعاً من الحزام كان يستعمل أحياناً من الفضة أو الذهب ، ويتحدث المقريزى فى كتابه (وصف مصر) عن سوق الحوائصيين الذى تباع فيه الحوائص وهى التى كانت تعرف بالمنطقة فى القديم .

كما نجد إلى جانب الحياصة (المضمة) التى نقل دوزى عن الدبلوماسى الدانماركى (هوست) فى كتابه حول المغرب أنها المضمة من ملابس رجال البلاط بمثابة زينة .

ونجد كذلك الشاشية التى تجعل على الرأس وقد خصص لها دوزى فى معجمه عن الملابس حيزاً واسعاً يرجع إليه والمهم فيه أنه يؤكد أنها تعبر عن درجة معينة فى المجتمع للذى يلبسها ، وتضاف إلى كل هذا ألفاظ أخرى كالخلادى لنوع من القماش الذى تحدثنا عنه ،

---

(1) ترجمة د. أكرم فاضل — نشر وزارة الإعلام — بغداد 1971 .

والرمان كذلك لنسيج معين مستورد ، والفضالى لنوع من الثياب ، والشقق ج شقة لقطع من النسيج يحتوى على عدد من القالات ولهاذرع .

(4) ومما يتدرج فى أشكال الفراش الذى رحل إلى مصر نجد على سبيل المثال : الكلة ج كلل ، واللفظ يعنى غشاء شفافاً يخاط كالبيت وتجعل فوق الفراش يتوقى به من البعوض ، والناموس وقد يسمى « الناموسية » .

كما نجد كذلك الطنفسة أو الطنفسة (كلمة فارسية الأصل) تجمع على طنافس ، واللفظ يعنى نوعاً من البساط الذى تستعمله الطبقات الميسورة وهذه غير (الحنابل) (ج حنبل) الذى ورد ذكره ضمن الهدايا المرفوعة ... إن الحنابل تكون عادة من ألوان مختلفة ومن الطريف أن نجد النص فى لائحة المواد المهداة على أن الحنابل يوجد فيها ما هو مصنوع بزمور من أرض المغرب الأقصى ومنها ما هو مصنوع بونشريش التى توجد فى توجين بالمغرب الأوسط ... وكأن السلطان أبا الحسن يعنى بهذا أنه متمكن من المغربيين ...

ثم نجد كذلك ضرباً مما تغطى به عادة الجدران حتى لا تظهر للناس بجبسها وجيرها ، وهذا ما يحمل اسم (الحايطى) الذى يكون مزخرفاً مطرزاً بشتى أنواع التطريز وهو منظر يضفى على البيوت مسحة من الرفاه ، والأناقة ...

ونرى من المناسب أن نذكر تحت هذا الباب الخيام الفخمة الرائعة التى تبادل المغرب إهداءها مع مصر .

وينبغى أن نتصور هذه القصور المتنقلة التى حملتها الوفادة المغربية إلى المشرق ، والتى حملتها الوفادة المصرية إلى المغرب : الخباء الكبير الذى توجد له أبواب بعدد من الجهات الأربع : شمال وجنوب وشرق وغرب ، والذى يحتوى على مائة حجرة التى تسميها الوثائق المغربية (البنيقة) ... تسع تلك الخيمة الحاشية الملكية بوزرائها وكتابها .

ثم الخباء المغربى الثانى الذى يحتوى على ستة وثلاثين حجرة والذى كان مخصصاً ، فيما يبدو ، للسلطان وحريمه وهو يحتوى على ست وثلاثين حجرة وقد طرز من داخل بحلق مذهبة ، وكسى من خارج بالحرير الأبيض .

أما عن الفسطاطين اللذين صنعا فى الشام :

الأول : كان فعلا على تصميم قصر مربع فخم يحتوى على قاعات يقصد الاستعراض والاستقبال ، وعلاوة على الأبراج المنصوبة فيها للإشراف على ما يأتى به الطريق ، فإن هناك غرفاً للنوم طبعاً إلى جانب المطابخ ودو المياه ينبغى أن نذكر هنا أن حوائط هذا الفسطاط كلها من خرق الكتان المفصلة على الأشكال والمساحات التى يريدها المستعملون حتى لها

تبقى الحجرات صغيرة أو تشرك مع بعضها عند الحاجة .

أما الفسطاط الثانى : فقد كان على شكل مستدير عالى السمك رحب الفناء وهو يسع أزيد من خمسمائة فارس ...

وإن من أطرف ما حملته إلينا هذه الأخبار أن يصحب الفسطاط الأول بتمثال (ماكيط) لمسجد على تصميم مشرق بمحرا به وسواريه ومئذنته ...

والجدير بالذكر هنا أن ظاهرة إنشاء الماكيطات أو الرسوم المجسّمة كانت شائعة على هذا العهد . . .

فقد قرأنا فى كتاب المسند لابن مرزوق (ص 448) أن السلطان أبا الحسن هو الذى رسم بذات يده مساحة الدار التى سكنتها الأميرة الحفصية عزونة التى خطبها من والدها أبى يحيى .

وقرأنا أيضاً فى رحلة ابن بطوطة (ج ٢ ص 354) عن صنع ماكيط لجبل طارق كان يحتفظ به السلطان أبو عنان فى قصره بفاس[1] ...

(5) وفيما يتصل بآلات الركوب والعدة نقف أيضاً على عدد من الألفاظ الدالة على مدى ما بلغته المدنية آنذاك فى البلاطين المصرى والمغربى وهكذا نجد لفظ أسلة ج سايل بمعنى الدرع الذى يحمى الفرس ... يحصن به الفرس على نحو ما يحصن الفارس بالدرع ...

ونجد إلى جانب هذا البراقع التى تخصص للخيل ، وفى هذا الصدد نجد أن البرقع يختلف من فرس إلى فرس شكلا وقيمة فهو يصل أحياناً إلى أن يكون كله من ذهب وأحياناً أخرى تتنوع مادته ...

ونجد مع الحيوانات المهداة ... أربعاً وثلاثين صقراً أو بازاً .. وينبغى أن نقف قليلا مع هذا النوع من الهدايا ... لعل بعضنا لا يعرف أن العصور الوسطى اصطلحت على أن إهداء الصقر من التعابير الدالة على أن العلاقات بين أمة وأخرى بلغت غايتها فى التواصل والتكامل ... فالصقر الحر إذن سفير سلام ومحبة ... وليس هذا فقط ولكن إهداء الصقر يعبر فى جنة أخرى عن مدى ما وصلت إليه دقة ورقة ورهافة حضارة الجهة التى تهديه ... فإن الصقر لا يهدى وحده كطير عار عاطل ... ولكن الصقر تصحبه جهازات وأدوات وأثاثات ... نجد نقف أيضاً على عدد من الألفاظ الدالة على فى صدرها البراقع التى عبرت عنها لائحة

---

(1) د. التازى . التاريخ الدبلوماسى للمغرب ج 7 ص 98 .

الهدايا بالوقايات وهى تجعل على عينى الصقر أثناء تدريبه وهى تكون من جلد ومن فضة وأحياناً من الذهب الخالص ؟؟ !!

كما نجد فى تجهيزات الصقر مايسمى بالمناقل ، أى القفاز ، الذى ينتقل عليه الصقر على يسرى مربيه الذى يحمل فى المغرب اسم البياز وفى المشرق اسم البازريار !!

هذا إلى الوكر الذى يعنى المجثم الذى يجلس عليه الصقر للراحة والنوم وهو غير المنقلة السالفة الذكر...

هذا كذلك إلى الجلجل الذى يربط فى إحدى رجلي الطائر وهو يساعد البياز أو الصقار على التدليل على مكان صقره فى حالة ضلاله عن الطريق ! وأخيراً الخيوط التى تلازم رجل الصقر بطريقة لا تضره ولا تضيعه كذلك .

طبعاً كل الأدوات تكون من مواد تعبر عن المركز الاجتماعى للمُهدى وللمُهْدَى له ...

ولا يمكن أن نتصور هدايا من هذا النوع رائحة من ملك إلى ملك دون أن تكون مصحوبة بهذه التجهيزات الدقيقة سيما ونحن نعرف عن مدى اهتمام السلطان الناصر يأمر الطيور الجوارح التى وجد منها نحو مائة وعشرين صقراً بعد وفاته على ما نقرأه فى تاريخ مصر ... تماماً على نحو اهتمامه بالخيول وأنسابها وأسمائها وأعمارها وأثمانها ...

ولم يكن هناك غير سلطان المغرب أبى الحسن يقدر مكانة هذه الهواية عند أخيه الناصر سلطان مصر ... إن أبا الحسن نفسه من الهواة الكبار للقنص بالصقر(1) ...

ومما يندرج فى هدايا العدة نذكر الدروع وخاصة منها التروس الجلدية للمطبعة المصنوعة من جلد حيوان اللمط(2) الذى لا يخترقه سهم ولا نبل ، والذى ظل حديث الكهاة والفرسان فى العصور الوسطى ...

وبالإضافة إلى السروج على اختلاف

---

(1) د. التازى · القنص بالصقر بين المشرق والمغرب ، المطبعة العصرية — الرباط 1980 ص 91 — 92 أبو القاسم الفجيجى : الفريد فى تقييد الشريد وتوطيد الوبيد ، تقديم وتحقيق د. عبد الهادى التازى ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1983 .

(2) اللمط ، كما نعلم ، حيوان يشبه الثور من حيث شكله ، ولكنه أصغر حجما وقوائمه وقرونه أكثر دقة ، ولونه يكاد يكون أبيض غير أن أظلافه سوداء فاحمة وتصنع من جلده — كما يقول ابن الوزان تروس شديدة المقاومة لا يخترقها شيء باستثناء قذيفة عن سلاح نارى ! وتباع هذه التروس بأسعار عالية جداً .

وقد ورد فى كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذانى · « وأهل لمطة أصحاب الدرق ينقعونها فى اللبن حولا مجرداً فينبو عنها السيف ، وإن قطع السيف منها شيئاً نشب السيف فى الدرقة اللمطية ليس عليها قياس . .

أنواعها ما بين ثقيل وخفيف وإلى المهاميز على اختلاف أشكالها ، وزخرفها وإلى اللجم والركب واللزمات والمهندات والرايات المغربية من التي صحبت مئات المطايا والخيول. بالإضافة إلى ذلك نجد النص على أثاث البيت بما يتطلبه المطبخ والمغسل والمفرش والماعون ما يعرف فى اللغة العربية بالخرثى هذا اللفظ الذى يعد بنفسه لفاً من ألفاظ الحضارة :

(6) وينبغى أن نقف قليلا عند الألقاب والوظائف التى مرت بنا ونحن نعيش مع هذا الحدث ...

ونذكر منها أمير المسلمين وملك البرين وسلطان العدوتين وحامى القبلتين وخادم الحرمين ...

كما نذكر لفظ الأرسال التى تستعملها بعض الوثائق السياسية جمعاً لكلمة رسول بمعنى السفير بين القوم ...

ونذكر لفظ « المتولى » و « ناظر الخاص» بمعنى المشرف على النفقات الخاصة ، وقد عرفنا من هؤلاء القاضى شرف الدين الذى يحمل لقب النشو ... والمهمندار بمعنى مدير المراسيم والتشريفات ، والقهرمان بمعنى وكيل الدخل والخرج[1] ، هذا إلى لفظ « الفرانق » وهو يعنى حامل الخرائط أى ساعى البريد ، الذى يحمل فى المغرب اسم « الرقاص » أخذاً من أصل اللفظ العربى لكلمة الرقص : قال حسان :

بزجاجة رقصت بما فى قعرها

رقص القلوص براكب مستعجل

(7) ولابد من التنصيص هنا على تلك المبالغ الهامة من الدنانير التى خلفتها الوفادة المغربية إلى الديار المشرقية ... والسؤال عن طريقة صرفها فى تلك الجهات ؟

وهنا نذكر أن دنانير بنى مرين كانت نسخة طبق الأصل من الدينار المرابطى الذى طبقت شهرته الآفاق من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ، والذى كان فى عصره عملة دولية على نحو ما نسمعه اليوم عن الدولار الأمريكى وقد دخل الدينار المرابطى القاموس اللاتينى وأصبحنا نسمع عن (AL-MARAVEDI) ...

---

(1) الصابى ، كتاب الوزراء — ابن خلدون : 7 ، 551 دكتور عبد المنعم ماجد · نظم دولة سلاطين المماليك ورسوم مصر 1967 . مكتبة الأنجلو مصرية دكتور حسن الباشا · الألقاب الإسلامية من التاريخ والوثائق والآثار 1978 دار النهضة المصرية .

ذلك الدينار المرابطى هو الذى احتفظ به المغرب أيام بنى مرين ، وقدقرأنا فى كتب التاريخ المغربى الأندلسى عن إعانة السلطان أبى يوسف يعقوب (ت- 684=1285) للعاهل الإسبانى بمبلغ مهم من الدينار « المرابطى » ...

وهكذا فإن الدنانير سواء منها الذهبية أو الفضية كانت تحمل معها قيمتها أينما توجهت ، وقد ضربت على أساس سليم ودقيق صدر به الأمر فى جميع دور السكة الموجودة آنذاك فى القواعد المغربية الكبرى : فاس ، سبتة ، مراكش وسجلماسة(1) ...

(8) أما عن عدد الشخصيات المغربية التى رافقت الأميرة مريم ... فإنه يفوق العد ، وإنه ما يزال علينا أن نعرف عن المزيد ممن لم نقف لهم على ذكر إلى الآن وأعتقد أن هؤلاء كثير وكثير فقد دأبت العادة فى مثل هذه المناسبات أن لايذكر جميع المرافقين لأسبابه أمنية ولأغراض يقتضيها عدم إثارة الحساسيات أو الرغبة فى التستر على بعض ذوات الحجاب.

ومع ذلك فسنذكر ما وصلنا من أسماء هؤلاء مرتبة حسبما يبلغ الأغلفة التى توصلوا بها ولو أننا نعرفه سلفاً عن الرصيد العلمى لبعض من زحلقتهم تلك المبالغ عن رتبهم ممن استحقوا عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن يقدموا على غيرهم فى الخطاب الذى بعث به للسلطان أبى الحسن المرينى :

وهكذا يأتى الترتيب بعد ذكر الأميرة هكذا :

(1) عريف السويدى(1000 دينار) :

فقد أبو زيان عريف بن يحيى بن عثمان السويدى أمير بنى زغبة من عرب بنى هلال كان قد قدم على السلطان أبى سعيد والد السلطان أبى الحسن فأحله أعلى رتبة واتخذه جليساً وأنيساً ، ولما جلس أبو الحسن على كرسى الحكم عينه حاجباً له ومن خواصه وأهل سفارته ، سفر عنه إلى المشرق فى هذا الركب ثم سفر عنه لتونس عام 746 = 1345 — 46 فى خطبة بنت الملك الحفصى أبى يحيى السلطان أبى الحسن نفسه ... كان وافر العقل مشاركاً فى العلم والأدب والتاريخ ، توفى بمدينة سلا ودفن إلى جانب السلطان أبى الحسن بشالة عام 755-=1354

(2) أبو محمد عبد الله بن القاسم المزوار ، المدعو (عبو) (400 دينار) .

(3) الحسن ابن عمران ، المدعو حسون (400 دينار)

---

(1)أبو الحسن على بن يوسف الحكيم الكومى المديونى : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة اقتضب من الروضة الغضة فى معركة أحكام الذهب والفضة .

(4) أحمد بن يوسف بن أبي محمد بن صالح نعت في ابن مرزوق بشيخ الركب ولم يتذكر المبلغ الذي دفع له .. فافترضت أنه كأمير الركب ...

(5) إبراهيم التازي (300 دينار) :

أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زيد عبدالرحمن ابن أبي بكر بن أبي يحيى التسولي التازي ثم الفاسي ويكنى أيضاً أبا سالم ويعرف بابن أبي يحيى ، الفقيه القاضي من صدور المغرب ، له مشاركة في العلم وتبحر في الفقه ، وله مركز مرموق عند الملوك ، صحبهم وحضر مجالسهم واستعملوه في السفارة عنهم للاندلس وبلاد المشرق ... كان مليح المجالسة أنيق المحاضرة ، جميل الصورة ، نبيه الشارة ، فاره المركب ، قائم على تدريس التهذيب والرسالة القيروانية وتقييده عليها ... مرض بفاس ونقل إلى داره من تازى بلده فتوفي بها في حدود 749=1348 .

(6) عطية بن مهلهل بن يحيى (300) .

(7) سليمان بن أبي بكر العسكري (150).

(8) أبو سعيد عثمان بن سليمان من أولاد حمامة (150) .

(9) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سيد الناس (100 دينار)[1] .

(10) يوسف ابن عبلة المدعو يشو (60 دينار) .

(11) عبد الرحمن بن القاضي المليلي (50 ديناراً) .

(12) ابن جميلة (50 ديناراً)

(13) أبو الفضل أو أبو المجد بن أبي عبد الله محمد بن أبي مدين العثماني وسماه ابن خلدون صاحب ديوان الخراج وكاتب الجباية والعساكر ... ووصفه في نكبة الجمال لصاحب القلم الأعلى ... كتب العلامة للسلطان أبي الحسن ... سفر لدى هذا السلطان الناصر هذه المرة ومرة أخرى لدى ابنه السلطان أبي الفداء إسماعيل عام 745 كما سفر عنه لتونس عام 745 مع عريف السويدي لخطبة الأميرة الحفصية للسلطان أبي الحسن .. ولم يذكره ابن مرزوق — كما أسلفنا — فلم نعرف مبلغ الغلاف الذي تسلمه والذي يظهر أنه كان غلافاً ثقيلا ! كذلك!

* * *

وهكذا فنحن أمام زهاء مائة وخمسة عشر لفظاً حضارياً أمكن تقصيها في هذه المجموعة

---

(1) يعرف عن ابن سيد الناس أنه راح في معمة لطرابلس عام 755 هـ من لدن السلطان أبي عنان .
Canard. : Relations P :61

المحدودةمن الوثائق التي تتعلق بسفارة واحدة وردتمن المغرب على المشرق نذكرها مرتبة على حسب الحروف الهجائية :

الأبنوس

الإحرام ج أحارم

الأديم

الأردب

أمير المسلمين

إصطبل

إيوان ج أواوين

الباز ج بزاة

برج ج أبراج

برنس ج برانس

برقع ج براقع

بنيقة ج بنائق

البشماط

البازيار — البياز

التجفاف : الدرع

الترس ج تروس

تمثال ج تماثيل

التوابل

الجلجل

جهاز ج جهازات

جوهر ج جواهر

حامى القبلتين :

الحايطى ج حياطى

الحباك ج حبك

الحبحبة

حبس — وقف

الحرة .

الحرير

الحنبـل

الحياصة : الحزام

خادم الحرمين

الخرثى .

الخلدى ج خلادى

الخلعة ج خلع

الخيمة .

الدرع

الدرق

الدرهم

الديباج

الدينار (المرابطى)

الراية ج رايات .

الربعة ج ربعات .

الردهة .

الركاب ج ركب ...

الرصان : نوع من القماش

الرقاص : ساعى البريد

رسول ج أرسال

زاد ج أزودة

زبرجد ج زبارج

زمرد

طنفسة ج طنافس

الضوئية

الضياع ج ضيعة .

العساج

العرض — استعرض

العلم ج أعلام

غلاف ج أغلفة

غشاء ج أغشية

الفرانق

القدود

القطار

قضيب ج قضب

قفاز

قهرمان ج قهارمة

الكاغد

الكبر ج أكبار : ذروة

الكتان

الكلة ج كلل

كساء — كسوة

الفانوس ج فانوسات

فرّق : وزع

فروش الجلد .

الفضالى : نوع من الثياب .

الفسطاط ج فساطيط .

اللجام ج لجم

اللحاف ج لحف .

اللازمة ج لزمات

اللؤلؤ

المتزيدات

المتولى

المحشم

المحررات

المحمل

المخفف .

المخدة ج مخاد

المزوار : النقيب .

ملكة البرين

الملف (الجوخ) :

المنقلة ج مناقل .

المضمة	سرج ج سروج
المشرف	سلطان العدوتين
المشفف	السقاء ج سقائين
المهماز ج مهاميز	سلهام : (ZULAM)
المهندات	سليل ج أسلة
المهندار	شاشية ج شواشى
الميدان	الشريط ج شرائط
ناظر الخاص	الشقة ج شقق
الناموسية	الوراق ج وراقين
نهود الدرع ...	الوكر
الصندل	الوصيف : الخادم .
الصقر	الوقايات : البراقع .
الصوان ج أصونة	الياقوت

إنى على مثل اليقين من أن تتبع مثل هذه الوثائق الدبلوماسية من شأنه أن يعرفنا على المزيد من الكلمات التى ابتكرتها عبقرية أسلافنا والتى لم تقتصر فائدتها على المعجم العربى فحسب ولكنها تعدت ذلك إلى إثراء المعاجم الأوربية بطائفة من المفردات التى تستعمل اليوم على الصعيد السياسى وفى المجال العلمى كذلك .

عبد الهادى التازى
عضو المجمع المراسل من المغرب